ما حرك اولمرت للمصادقة على الحملة لم يكن الهلع على مكانته السياسية بل التخوف الحقيقي من فقدان انجازات الحملة

ضابط كبير من قيادة فرقة 162: مقاتلو حزب الله حاصرونا بالجنوب ووجدنا أنفسنا في حمام من النار

■ يوم الاثنين الماضي، بعد ساعات من دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ عقد ضابط كبير من قيادة فرقة 162 استعراضا للصحافيين. واستهدف الحديث عرض انجازات الفرقة في الحرب. وبعد عرض وثق الغنائم التي اخذها المقاتلون في خنادق حزب الله، وصل الضابط الى وقف الخطوة النهائية للفرقة: التقدم الى أعلى وادي السلوكي، الى قريتي غندورة وفارون المجاورتين لليطاني. وقال ان هذه كانت احدى المعارك المركزية للحرب. معركة بطولة، خيضت في ظروف صعبة ونهايتها انجاز جوهري: بدونها ما كان للجيش الاسرائيلي أن يواصل غربا ليستولي على القطاع المحاذي لليطاني.

في هذه المرحلة من الحديث استيقظ الى الحياة بعض المراسلين. ماذا تحقق هنا بالضبط، سألوا. ففور اجتيازكم العائق، بخسائر غير قليلة، أمروكم بالتوقف. والان، مع وقف اطلاق النار فان الجيش الاسرائيلي سيخلي المواقع المتقدمة التي استولى عليها. من أجل ماذا سقط الجنود؟ فامتنع الضابط عن الاجابة مدعيا أن هذه باتت أسئلة عليكم ان توجهوها الى القيادات الاعلى.

في الغندورية قاتل المقدم الاحتياط حناني مزراحي وثلاثة من جنوده. ومثل كل رجال الاحتياط تقريبا فان لديهم هم ايضا بطن مليئة. كل شيء حديث العهد جدا، بحيث أنهم فيما يروون التفاصيل تنكشف أمام ناظريهم علامات استفهام جديدة، مثل عبوات جانبية تنفجر الان لتوها. وهم يروون قصتهم من أعلى حقل الاشواك لوادي السلوكي. ويقول مزراحي انه «من المهم ان يتذكروا انه في سياق الحرب الكبرى توجد حروب صغيرة. ولا يزال هناك اناس يعرفون كيف يقدمون العون لرفاق في أزمة، وأن ينفذوا المهمات تحت النار. الناس الذين يعطون كل شيء. هذا نسي في هذه الحرب».

60 ساعة ستلعب دور النجم في التحقيق

أحداث الايام الاخيرة للحرب، من الاذن الذي اعطي للجيش الاسرائيلي للتقدم نحو الليطاني في ليل الجمعة، 11 آب (اغسطس)، وحتى وقف النار، يوم الاثنين 14 منه، سيتم التحقيق فيها عمقا على يد الجيش الاسرائيلي وفي لجان التحقيق المدنية، التي لم تتقرر طبيعتها النهائية بعد. ولكن مما يظهر حتى الان ينشأ الانطباع بأنه كان هناك خليط فتاك من عدة ظواهر اشكالية في الحرب: قيادة سياسية، خبرتها الميدانية متدنية وهي معنية بانجاز تلوح به في النهاية، كلما تعاظم الانزعاج الجماهيري من أدائها، هيئة أركان تسعى الى «تحرير الرفاص الذي داست عليه»، والسماح للقوات بالتقدم ـ حتى عندما كان وقف اطلاق النار في البوابة، وقيادة فرقة متحمسة لاظهار قدرتها، بعد انتظار طويل. ومن بين 33 قتيلا في الخطوة الاخيرة لحرب سقط 16 في قطاع فرقة 162، منهم 12 في معركة السلوكي ـ غندورة. والى أن ينتهي التحقيق في الحرب، يمكن الافتراض بأن أسماء هذه الاماكن ستكون محفوظة على كل لسان.

فرقة 162 فتحت الحرب بوتيرة بطيئة بعض الشيء. وفي الوقت الذي وقعت فيه في القطاع الغربي معارك شديدة على الارض، تلبث دخول الفرقة القتال، في القطاع الاوسط. وتأخر الجهد الابتدائي في اللحظة الاخيرة بسبب الاحوال الجوية السيئة. كما ان التقدم في السياق كان مترددا بعض الشيء. وفي الوسط، يوم الاحد 6 آب (اغسطس)، سقطت الكاتيوشا في المعسكر اللوجستي في كتيبة المظليين من الفرقة فقتلت 12 من مقاتليها. الانجاز اليومي المتوسط لفرقة المدرعات الرائدة في الجيش الاسرائيلي والتي يستثمر فيها ولتطويرها مبالغ طائلة تلخص بتدمير بعض المنصات والس بعدد من رجال حزب الله. وفي الفرقة أملوا بأن الاقتحام غربا سيغير الصورة.

صحيح انه كان هناك جدال مهني بين قائد المنطقة الشمالية اودي ادام وقائد 162 العميد غاي تسور في المصادقة على مسار التقدم (حسب احدى الروايات، فان تسور بالذات اوصى بالامتناع عن ممر السلوكي من خلال التفاف اكثر جنوبية)، ولكن في نهاية المطاف تقرر الهجوم عبر السلوكي. والان، فان كل ما تبقى عمله هو انتظار مصادقة القيادة السياسية.

وقبل جلسة المجلس الوزاري المصغر في يوم الاربعاء، 9 آب (اغسطس)، افترضوا في الجيش الاسرائيلي بأن المصادقة على الخطوة ستأتي. وتوفيرا للوقت، جرى تقديم كتيبة الهندسة في الفرقة الى مقربة من السلوكي. حركة الكتيبة لاحظها حزب الله. وعندما تلقت الكتيبة في المساء التعليمات بالعودة، بعد أن أجل المجلس الوزاري المصادقة على الهجوم بدعوى أنه يجب اتاحة المجال لاستنفاد الخطوة السياسية في الامم المتحدة، عزز حزب الله انتشاره. خلايا الصواريخ المضادة للدبابات انتشرت في المنطقة، منتظرة عودة القوات.

يوم الجمعة مساء اتخذ القرار الاكثر اثارة للخلاف في الحرب. فمع أن مجلس الامن كان يوشك على التصويت في غضون ساعات على صيغة قرار 1701 لوقف اطلاق النار، أعطى رئيس الوزراء ايهود اولمرت الجيش الاذن للتحرك نحو الليطاني، في كل القطاعات. وقد استجاب بذلك لضغط مارسه عليه وزير الدفاع عمير بيرتس وكبار مسؤولي الجيش الاسرائيلي على مدى أكثر من اسبوع. وكان تحت تصرف الجيش الاسرائيلي 60 ساعة، وذلك لان اولمرت اتفق مع الادارة الامريكية بأن وقف النار سيدخل حيز التنفيذ صباح يوم الاثنين.

وزير المواصلات شاؤول موفاز الذي عرف السلوكي عبر القدمين، تحدث مع اولمرت هاتفيا قبل ساعات من ذلك وحذره من الخطوة. «الان بات الامر متأخرا»، قال، «لا يمكن القاء 35 الف رجل الى الميدان لـ60 ساعة والامل بالخير. كيف ستشرحون للاهالي سقوط الابناء؟». أما اولمرت فلم يقتنع. وكان موفاز لا يزال يعتقد بان هذا مجرد تهديد اسرائيلي. وفي السبت فجرا، بعد التصويت في مجلس الامن كان وزير المواصلات مقتنعا بأن اولمرت سيأمر باعادة القوات. هذا لم يحصل. وفي الجيش يشرحون بانه عندما يتم تحريك قوة هائلة كهذه، في منطقة يهددها العدو، فمن الصعب جدا ايقافها وانه قيل للوزراء ان الكبح سيستغرق 12 ساعة على الاقل. موفاز وآخرون يعتقدون بأن الحجة غير مقبولة.

محور حركة 162 تحرك باتجاه الغرب، من الطيبة والقنطرة (التي سيطرت عليها الفرقة من قبل) في الجانب الغربي من السلوكي. هناك، كان يفترض بقواتها ان ترتبط بفرقتين اخريين تحركتا شمالا والمساعدة في الاستيلاء على مواقع جنوبي الليطاني. السلوكي يوجد بالضبط في الوسط، فيما يسمى «الممر الاضطراري»: ملزمون باجتيازه من أجل مواصلة التقدم. الصعوبة هي أن الحديث يدور عن صعود شاهق، نحو مئة متر من حيث الارتفاع في قاطع كل طوله 400 متر، مسيطر عليه من كل الجهات.

من أجل السماح لفرقة المدرعات بالتحرك، في المحور الجبلي الصعب والمهدد كانت هناك حاجة الى اقتحام مقاومة حزب الله هناك. طريقة العمل التي اختيرت تعرف في التكتيك العسكري بـ«الخرق من المتن»: قوة مشاة كبيرة من لواء الناحل والغولاني انزلت من المروحيات واستولت على مواقع في قريتي غندورة وفارون، غربي السلوكي، في مواقع أعلى منه. وكان دور رجال المشاة التغطية على الدبابات في أثناء صعودها (قبل بضعة ايام من المعركة زار قيادة الفرقة عدد من الجنرالات. وعجب بعض الضباط من منطق الخطة. «ماذا تريدون؟ هذه بالضبط كالسندبانة» أجابه احد الجنرالات. السندبانة هي ميدان ناري للجيش الاسرائيلي في هضبة الجولان، حيث دُرج على مناورة الخرق من المتن).

ومثلما في معارك اخرى في الحرب تبين أن حزب الله استعد جيدا. دبابة قائد سرية، تقدمت الاولى الى السلوكي، صعدت على عبوة كبيرة ودمرت. نحو 10 دبابات أخرى تلقت صواريخ مضادة للدبابات. بعضها اشتعل. رجال حزب الله أطلقوا ايضا صواريخ كورنت سوفييتية حديثة من مسافة نحو 4كم. بعض الصواريخ اطلقت من الخلف بشكل عام من قرية عدسية، نحو نصف كيلو متر من مسغاف عام من منطقة ادعى الجيش الاسرائيلي السيطرة عليها قبل نحو اسبوعين من ذلك.

وحتى يوم الاحد فجرا تمكنت القوات، بقيادة قائد اللواء المدرع النظامي 401 العقيد موتي كيدور من اقتحام العائق. عدد من الدبابات نجحت في الوصول الى اعلى الجبل، حيث ادار مقاتلو الناحل وغولاني معركة ضروسا مع حزب الله في القرى. المهمة انجزت، ولكن 8 رجال دبابات و4 جنود مشاة قتلوا. وبين المصابين قائدا سريتي دبابات قتلا وقائد كتيبة مدرعات اصيب بجراح خطيرة. صباح يوم الاحد وصل الى الفرقة أمر من هيئة الاركان: توقفوا في المكان. بعد بضع ساعات من ذلك قتل 4 جنود آخرون، في حادثة في الجانب الشرقي من القطاع. وفي صباح يوم الاثنين، دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ، وفي ذات المساء كان معظم المقاتلين قد خرجوا عائدين الى اسرائيل.

المعركة في الغندورية

كتيبتان من لواء 401 تقدمتا منذ مساء السبت الماضي غربا في اعقاب لواء الناحل وغولاني من أجل السيطرة على أكبر قدر ممكن من الارض في الوقت المتبقي حتى دخول وقف اطلاق النار الى حيز التنفيذ. وفي صباح السبت، بعد اخلاء قائد كتيبة 9 في حالة اصابة شديدة، كتيبته واصلت التسلق من وادي السلوكي نحو الغندورية، بقيادة قائد السرية (ل) شاي برنشتاين.

في بعض الدبابات، اضافة الى مقاتلي المدرعات كان هناك مقاتلو احتياط من سرية المشاة المساندة للواء. والى جانب دبابة قائد السرية تحركت دبابة قائد فصيلة 2، الملازم ثاني حاييم غلفند، وفيها اضافة الى الفريق 4 جنود ـ الملازم مزراحي، ابن 37 من افيحيل، قائد الفصيل في السرية المساندة، و3 من جنوده: سرجيه ليرنر، حوفيف ريكا وتل اشوال. وجلس هؤلاء في الرواق الخلفي دون أن يعرفوا أين تقع الدبابة او باقي القوات. وفقط من خلال الاستماع الى جهاز الاتصال استمد مزراحي تفاصيل قليلة عما يجري في المعركة.

«انا أروي هذه القصة ليس كقصة بطولية»، يشدد مزراحي، «يوجد هناك 4 رجال احتياط و4 نظامي. جميعهم من خلفية مختلفة وأصبحنا جميعا اخوة في السلاح. اليوم البطولة هي مفهوم اعلامي»، وهم يتواضعون. فلم يكونوا ابطالا بل رفاقا. ومهم بالنسبة لمزراحي أن يروي «في ذكرى الضحايا»، 3 من الـ12 القتلى في السلوكي: النقيب شاي برنشتاين، الرقيب اول عيدو دربوبسكي والرقيب اول عمشا ميشولامي.

في صباح السبت كان الضباط والجنود يعرفون ان هذه ليست القرية المسيحية التي حسب التقديرات الاستخبارية من غير المتوقع فيها مقاومة شديدة. وقد تمترس حزب الله في القرية جيدا. وحسب السياسة المبدئية للجيش الاسرائيلي، فان القرى المسيحية لم «تهذب» مسبقا. وجنود المدرعات يروون بأنه مع أنهم في الغندورية حظوا بمساندة جوية ومدفعية، ولكن قليلا وبشكل متأخر جدا.

وفي أعلى الجبل اصطدم طابور الدبابات بنار ثقيلة مضادة للدبابات. ثنائي الدبابات في رأس الحربة وصل الى مسافة عشرات الامتار من القرية. فيما اصيبت الدبابتان في الخلف بصواريخ مضادة للدبابات. برنشتاين قرر الالتفاف عائد الى درب جانبي للمساعدة في انقاذ الجنود المصابين. وفور الالتفاف تزحلقت دبابة غلفند في حفرة جانبية. وانهار الطريق تحتها على ما يبدو كنتيجة لانفجار عبوة. برنشتاين خرج من الدبابة كي يستوضح ماذا حصل للدبابة الثانية، وعاد فورا. وكانت الدبابتان هدفا مريحا لصواريخ حزب الله. الصاروخ الاول اصاب دبابة قائد السرية، وبرنشتاين نفسه اندفع من الدبابة.

وللامتناع عن اصابة مؤكدة اخرى لهم ايضا ـ صاروخ واحد اصاب الفوهة وتعطل المدفع ـ خرج غلفند ورجاله من الدبابة ومعهم مقاتلو المشاة. ويروي مزراحي يقول: «خرجنا بسرعة من الرواق الخلفي وعندما للمرة الاولى تبدد الظلام المطلق لنرى ضوء النهار دون أن نعرف من اين يطلقون النار علينا»، يروي مزراحي، «رأينا دبابة شاي التي انطلق منها الدخان. وكانت علينا نار ثقيلة جدا. كنا محاطين 270 درجة بالنار ـ سلاح خفيف، راجمات، مضادات للدبابات. وجدنا أنفسنا في حمام من النار».

من هذه اللحظة أخذ مزراحي القيادة على كل القوة من دبابة غلفند. «لم يكن هناك مأوى قريب فاختبأنا في كرم زيتون مجاور»، روى. «4 من رجال المشاة دخلوا في دفاع 360 درجة وبدأوا يردون النار بالسلاح الخفيف في الوقت الذي تطايرت فيه الصواريخ المضادة للدبابات من فوق رؤوسنا. لم تكن لدينا القدرة للتحرك لا الى الامام ولا الى الخلف».

رجال الدبابات الـ4 غادروا مخبأهم وتقدموا نحو دبابة قائد السرية بحثا عن الناجين. ولاحظوا برنشتاين ملقى على الارض دون روح، وحاولوا الدخول الى الدبابة. تحت نار ثقيلة اضطروا الى التسلق على الدبابة لان الرواق الخلفي كان مسدودا. فوجدوا داخل حجرة الدبابة المدفعي ومعبىء القذائف دون قدرة على الحراك. وقال مزراحي «انهما كانا مصابين بجراح خطيرة جدا ولا سيما بالحروق». الرابع، السائق، اصيب بالعمى، ولكن حالته كانت أفضل من رفاقه. وكانت عملية الانقاذ مركبة وطويلة. تحت النار اضطررنا الى ازاحة الحجرة لفتح الطريق لاخراج السائق، وعندها اخلاء المعدات من الرواق الخلفي لجر المدفعي والمعبىء عبره.

تاريخ حروب الجيش الاسرائيلي مليء بالاخطاء، بمعارك لم تدر كما ينبغي، بخسائر كان يمكن وصفها احيانا بضحايا عابثة. يحتمل ان يكون القرار الصحافي سابقا لاوانه، وفي غاية الحدة. لعل ما حرك اولمرت للمصادقة على الحملة لم يكن الهلع على مكانته السياسية، بل التخوف الحقيقي من فقدان انجازات الحملة. في محيط رئيس الوزراء يدعون بأن الجيش وعده بأنه يمكن الاستيلاء على مواقع هامة في الـ60 ساعة وان اولمرت اراد الاستعداد لامكانية أن ينهار وقف اطلاق النار فور دخوله حيز التنفيذ. والوقوف على الليطاني كان يفترض أن يوفر نقطة انطلاق أفضل للصراع ضد الكاتيوشا فيما لو استؤنف القتال. ويقول مسؤول كبير في هيئة الاركان ان «من المشروع جدا السماح للجيش الاسرائيلي بإنهاء خطوة عسكرية لتحقيق اتفاق سياسي أفضل. هكذا حصل في كل الحروب». ولكن في ضوء ما يتبين بالتدريج من عملية اتخاذ القرارات في الايام الاخيرة للحرب، من الصعب على المرء ان يتحرر من الاحساس بأنه وقع من نصيب جيل المقاتلين هذا ان يدفعوا الثمن الباهظ اكثر من كل ثمن آخر لقاء أخطاء القيادات التي بعثت بهم الى المهمة.

جنود الاحتلال الاسرائيلي ينقلون جثث زملائهم اثناء الهجوم على جنوب لبنان

عاموس هرئيل ويئير أتينغر
كاتبان في الصحيفة
(هآرتس) 2006/8/22

على اسرائيل أن تتوجه للتفاوض لحل الصراع وأن تبني قوتها الردعية على الشرعية الدولية

■ «الأسرة الدولية» هي بالفعل في احيان كثيرة جدا مُخيبة للآمال ومفتقرة للأسنان. من الواضح أن البديل الصحيح هو دائما تسوية بين أطراف النزاع، الأمر الذي ينشئ بينهم آليات رقابة للحفاظ على الاستقرار على الحدود المشتركة. إن هذا الأمر مجرد أمل أهوج في الصراع الشرق اوسطي. ويبدو أن التسوية لن تحدث هنا من دون مساعدة طرف ثالث، بما في ذلك الحدود الاسرائيلية ـ اللبنانية. البشائر الجيدة هي أن الحرب الأخيرة قد تتمخض عن فرصة للتوصل الى تسوية سياسية. لقد اتضح أن انتصارات اسرائيل الساحقة لم تفض الى تسويات سياسية، أما اوضاع التعادل في المعركة أو كشف هشاشة الجبهة الداخلية الاسرائيلية، فقد كانت مقدمة لتحركات سياسية واعدة. هذا ما حدث إثر حرب يوم الغفران التي أفضت الى السلام مع مصر، وبعد الانتفاضة الاولى، وصواريخ سكاد في حرب الخليج، التي أدت الى عقد مؤتمر مدريد. الحرب برهنت ايضا على قصور القوة خصوصا في مواجهة حركة ارهابية أو حركة مقاومة وطنية ذات قاعدة شعبية عريضة ودافعية دينية ـ حماس وحزب الله مثلا ـ التي لا تسري عليها مبادىء الردع العسكري أو قوانين الحرب، لذلك تفضل دول معادية مثل سورية وايران قضم الردع الاسرائيلي وإضعافه بواسطة حركات من هذا النوع.

الرؤية الأمنية الاسرائيلية الحديثة تقوم على السعي لكسب الشرعية الدولية لحدودها وحقها في الدفاع عنها كعنصر حيوي في قوتها الردعية، لو أن اسرائيل قد خرجت للحرب وهي ما زالت في لبنان، ومن دون حدود دولية فاصلة بينها وبين حزب الله لما حظيت بمثل هذا المستوى من الدعم من الأسرة الدولية. كما أنه ليس هناك شك في أن مجلس الأمن لم يكن ليتخذ قرارا ترفضه ايران وسورية اليوم كجائزة لاسرائيل على عدوانيتها.

اسرائيل وصلت الى المصالحة الجزئية مع الأسرة الدولية كما نرى الآن، فقط عندما اتضح لها أن حدود القوة، وأن أهداف الحرب الطموحة قد تآكلت من خلال عدم قدرتها على حسم العدو في ارض المعركة. حينئذ فقط بدأت اسرائيل باعتبار الأسرة الدولية عنوانا، وقوات السلام التي سترسلها هدفا من أهداف الحرب. هناك أهمية عليا لاستيعاب اسرائيل لحقيقة أن قرار نزع سلاح حزب الله ليس نابعا من النجاح في ارض المعركة، وانما من أن حزب الله قد استفز الأسرة الدولية، واعتدى على حدود دولية معترف بها من قبلها. حادثة لبنان يجب أن تكون سابقة للجبهتين السورية والفلسطينية: ترسيم الحدود الدائمة والمعترف بها، ونشر قوات فصل دولية للحفاظ على الاستقرار والهدوء. بعد أن جربت اسرائيل كل الوسائل لم يتبق أمامها إلا آخر وسيلة كخيار وحيد: التوصل الى تسوية مع جيرانها على أساس الحدود الدولية وبدعم قوي من الأسرة الدولية.

التسوية مع سورية ومع الفلسطينيين وفقا للمبادىء الدولية المتفق عليها ضرورية ايضا بسبب الانخفاض المقلق في أسهم حليفة اسرائيل في هذا الجزء من العالم وفي باقي أرجاء المعمورة. قوة الردع الامريكية واحترام الدولة الأعظم تراجعت بدرجة لا توصف، واسرائيل ما زالت تجد صعوبة في ملاءمة استراتيجيتها الأمنية مع الوضع الجديد. اسرائيل مثل امريكا، تعلمت عبر الطريق الصعب بأن قوة الردع فعالة طالما لم يتم استخدامها. الخوف من أمريكا في الشرق الاوسط لم يعد قائما لأن الولايات المتحدة لم تعد مصدر إلهام فقط، وانما لم تعد مصدرا للخوف والرهبة.

مثلما اخطأ ستالين عندما اعتقد أن البابا لا يملك فرقا عسكرية وليست لديه القوة ـ سيكون من الصحيح القول اليوم ايضا أن من يستخف بأهمية الأسرة الدولية مخطئ في فهم قوتها الاخلاقية، وايضا الاستراتيجية القائمة في العهد الجديد. الولايات المتحدة فقدت قدرتها على التوسط في السلام، وتركتنا من دون قنوات مفاوضات مع أعدائنا لأنها اجتاحت العراق ولأنها شنت حربا عالمية ضد الارهاب على ظهر الأسرة الدولية، ولأنها لا تدرك اليوم ايضا أين اخطأت في فهم الشرق الاوسط المعقد. الولايات المتحدة ايضا تجد صعوبة في التصالح مع أنماط عمل الأسرة الدولية، ولذلك قدست النهج أحادي الجانب مثل اسرائيل. إلا أننا لا نملك هامش التصرف بلامبالاة تجاه هذا العامل الحيوي من القوة والردع، والقائم على مبادىء الشرعية الدولية ـ لأن الأمر في حدقات عيوننا، ومتعلق بأرواحنا.

شلومو بن عامي
كاتب رئيسي في الصحيفة
(هآرتس) 2006/8/22

المشكلة لا تكمن في القرارات وانما في تردد القيادة وضعف تمسكها بالمهمة

المصادقة على العملية في لبنان لم تكن أكثر من مجرد ذريعة وتغطية لمؤخرة الحكومة

■ العجب العجاب هو أن جنود الاحتياط الذين لم يحظوا في السنوات الأخيرة بمستوى تدريب ملائم، والذين أُرسلوا الى ساحات القتال في جنوب لبنان من دون مياه ووقود وذخيرة جيدة، الذين دخلوا مع الدبابات الى مناطق النار من دون «الستر» التي تحميهم والتي تُركت في معامل رفائيل لأن الدولة التي تستحوذ عليها نزعة رغد العيش وفرت ذلك لصالح الابتزاز المالي ـ السياسي لكل من شاس وشينوي ـ هم، وبالتحديد هم، قد يدفعون حياتهم، عادوا من بلاد الأرز غاضبين صارخين ضد الحكومة التي لم تدعهم يخوضون الحرب حتى نهايتها. موشيه موسكال، والد رفنال الوسيم، الذي قُتل في معركة خالية من الإبداع في مارون الراس، قام بارسال رسالة مشجعة لايهود اولمرت حتى يواصل ما وعدنا به وخطط له، ولكن الآن ـ ها هو هذا الأب الذي ثكل ابنه يتوجه الى القدس للاحتجاج على ايقاف الحرب، ولن يرتاح ولن يهدأ الى أن يستقيل رئيس الوزراء.

الجيش الاسرائيلي لم يكن في ذروته لأنه لم يتدرب، ولأن ميزانيته الأمنية وبند النفقات على الاحتياط قد قُلصت خلال السنين. كما أن هذه القوة ما زالت تتعرض للملاحقة من قبل السياسيين والساعين لكسب الرأي العام في وسائل الاعلام، الذين لا يُجرون حسابات أبدا لثمن الضحايا، ولا تهمهم إلا حسابات الفائدة المستفادة. رغم التقليص كانت قوة الجيش الاسرائيلي أفضل من قوة أعدائه بكثير. اولمرت لم يستجب لدعوة الدكتور يوسي بيلين الأصيلة بالتحرك ضد سورية، ولم يستجب كذلك لطلب شن هجوم على البنى التحتية في لبنان كما طالب حاييم رامون، ومع ذلك أقدم على استخدام فزاعة العملية البرية كما شهدناها، والسؤال هو لماذا؟.

العملية التي حصلت في نهاية المطاف على المصادقة لم تكن أكثر من مجرد ذريعة وتغطية لمؤخرة الحكومة، وعملية وهمية لأغراض سياسية، الـ33 قتيلا الذين سقطوا خلال الايام الأخيرة كانوا ضحية بلا هدف. ولكن لو أن الجيش الاسرائيلي قد تمكن من السيطرة على كل جنوب لبنان، ولو بثمن مضاعف من القتلى، لسارع العالم كله الى إرسال خيرة جنود الغرب الى هذه المنطقة اللعينة، ولم يكتفِ فقط ببقايا قوات اليونيفيل. اذن ربما لمَ تكن هناك حاجة ايضا للتحليق حتى بعلبك بعد وقف اطلاق النار والعودة من دون الضابط المحبوب عمانوئيل مورنا.

في نظري الاجتياح البري كان الخيار الأقل جودة، ولكن ما إن تقرر تنفيذه، كانت هناك حاجة الى أن يتم ذلك بصورة حازمة، وعزيمة وإصرار. الحقائق تتحدث عن نفسها، والموقع الذي سارت فيه أقدام الجندي الاسرائيلي توقف عن أن يكون قاعدة لاطلاق صواريخ الكاتيوشا. المشكلة هي أن الجيش الاسرائيلي أُرسل متأخرا لفترة قصيرة حتى يكتب على الجدران هناك «الجيش الاسرائيلي مر من هنا»، ولا غير ذلك. كيف حدث أن الحكومة لم تُحرك عقارب الساعة للوراء مع بدء سريان وقف اطلاق النار، كما فعلت في حرب يوم الغفران، عندما حاصرت الجيش المصري الثالث؟. الآن، يأتي أناس أخيار من حركة جودة الحكم ويقترحون تشكيل لجنة تحقيق قانونية رسمية، ولكن ماذا سيفعلون؟ ظروف الانسحاب من لبنان التي بادر اليها ايهود باراك والشلل الذي أصاب ارييل شارون وبنيامين بن اليعازر وشاؤول موفاز أمام تعزز وتزايد قوة حزب الله ـ هي مسألة للمؤرخين. على المستوى العسكري هناك حاجة لاجراء تحقيق عملي. في يوم السبت، في ذروة المعركة الفاشلة في منطقة سلوكي، وصل مواطن متطوع والذي هو مقاتل مجيد الى مقر الفرقة وأخذ يتفحص مع ضابط الاستخبارات على الخارطة مسارا لفتح محور حركة التفافي. الآن، بعد شهر؟ أحداث من هذا النوع – من سلاح البرية وحتى الأخطاء الاخرى ـ تحتاج الى التحقيق من خلال لجنة صحيحة خالية من المحامين وتغطية المؤخرات. الحكومة موجودة في المقدمة. بامكانها أن تعرض على اللجنة كل قرار واخفاق وإبرازه وكأنه مسألة معقولة ومنطقية ومدروسة. المشكلة لم تكن في القرارات الصحيحة والخاطئة وانما في غياب التمسك بالمهمة على مستوى صانعي القرار من اولمرت وبيرتس وما دونهما. هذا مفهوم جدا لدرجة أنه لا حاجة الى إهدار وقت ثمين على طرح الحقائق المكشوفة للعيان منذ البداية. الخيارات واضحة: حكومة طوارىء وطنية، انتخابات مبكرة، اتخاذ قرارات حاسمة بالنسبة لقيادة الجيش الاسرائيلي، الاستعداد العسكري لامكانية استئناف الحرب، مواجهة ظل التهديد الايراني الطويل، وقبل كل شيء، تغيير المناخ العام. عضو الكنيست جلعاد أردين، من لوبي الاحتياط، أشار الى ذلك. وهناك حاجة على ما يبدو لوجود اشخاص ذوي قدرات مهنية واختصاصية خلف طاولة الحكومة لتعرف كيف تتعامل مع المسائل المطروحة.

دان مرغليت
كاتب دائم ومقدم برامج تلفزيونية
(معاريف) 2006/8/22

اخفاقات الحرب واضحة ولا تحتاج الى لجنة تحقيق قضائية للبت فيها ولكن قبول الناس لوهم الانسحاب أحادي الجانب يحتاج لتفكير عميق في اسرائيل

■ اسئلة كثيرة تُطرح الآن حول الحرب، وهناك اقتراحات لتشكيل لجنة تحقيق قانونية لتوضيح كل الحقائق. من المحتمل أن تكون مثل هذه اللجنة ضرورية لازالة الشكوك واعطاء تقييم موثوق لما تشوش وحول من فشل في أداء مهمته. ولكن كل ما يتوجب معرفته واضح من اليوم وبصورة جلية. اليكم جملة من الاسئلة الهامة جدا والاجوبة المفترضة عليها.

سؤال: ما هو السبب الأولي للحرب؟

جواب: قرار رئيس الوزراء ايهود باراك في عام 2000 الانسحاب من الشريط الحدودي في جنوب لبنان بصورة أحادية الجانب والتفريط بحلفائه في جيش لبنان الجنوبي. حزب الله قام بعملياته ضد الجيش الاسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي، ومنذ أواسط الثمانينيات كان يطلق الكاتيوشا على اسرائيل بين الحين والآخر، إلا أنه لم يكن قادرا على التمركز قرب الحدود، وكان مضطرا للدفاع عن نفسه من هجمات الجيش الاسرائيلي وجيش لبنان الجنوبي. ولكن فور الانسحاب احتل حزب الله مواقع متقدمة قبالة اسرائيل وعزز قواعده في جنوب لبنان وبدأ يجمع ترسانة هائلة من الصواريخ وأخذ يهاجم اسرائيل بين الحين والآخر. اسرائيل من ناحيتها، لم تفعل شيئا لمنع هذه التطورات المخيفة.

سؤال: هل كانت اسرائيل مدركة وعالمة بترسانة حزب الله الصاروخية الهائلة؟

جواب: نعم.

سؤال: ولماذا لم تقم اسرائيل بعملية وقائية؟

جواب: بالنسبة لباراك الذي واجه بعد أشهر من الانسحاب عملية اختطاف الجنود الثلاثة على يد حزب الله ـ هو لم ينو القيام بعملية تُظهر انسحابه أحادي الجانب وكأنه خاطىء. الحكومات برئاسة ارييل شارون كانت في البداية منشغلة بالانتفاضة، وغرقت في السنوات الثلاث الأخيرة في هوس الانسحاب أحادي الجانب من غوش قطيف. عندما دخلت حكومة ايهود اولمرت الى ولايتها انتصبت فورا في مواجهة اعتداء حزب الله في الشمال، إلا أنها كانت تعيش في وهم الاعتقاد بأن الانسحابات أحادية الجانب هي المفتاح للأمن والرفاهة المستقبلية لاسرائيل وركزت على الاعداد للمزيد من الانسحابات أحادية الجانب.

سؤال: لماذا لم ينجح الجيش الاسرائيلي في الحرب؟

جواب: الحكومة لم تأمر الجيش بوضع إزالة التهديد الصاروخي فورا على سلم أولوياته، وأملت بأن يؤدي القصف الجوي الى تحقيق انتصار سهل ونظيف. أما الهجمة البرية الكبرى فقد أُجلت حتى أصبح الوقت متأخرا جدا.

سؤال: هل كان من الممكن احراز انتصار فقط عبر القوة الجوية؟

جواب: لا. الصواريخ المتحركة الصغيرة لمدى 20 ـ 35 كم صعبة الاكتشاف من الجو. من الممكن إبعاد مواقع اطلاق الصواريخ عن اسرائيل فقط من خلال القوات البرية. طالما كان حزب الله قادرا على اطلاق الصواريخ بصورة مكثفة فهو يعتبر غير مهزوم، وفي الواقع طرفا منتصرا.

سؤال: هل كانت الهجمة البرية الكبيرة قادرة على التصدي لاطلاق الصواريخ على شمال اسرائيل؟

جواب: اجل. من دون علاقة بالاخلالات التي تكشفت خلال الحرب، فالجيش الاسرائيلي يتفوق على حزب الله في العدد والعُدة الكافيين لانجاز هذه المهمة.

سؤال: هل كان وجود رجل من سلاح الجو على رأس الجيش نقصا بالنسبة له؟

جواب: في الظروف القائمة، واذا أخذنا في الاعتبار، أنه كانت هناك حاجة لشن الحرب على الارض بصورة أساسية، فقد كان من الأفضل بالتأكيد لو أن رئيس هيئة الاركان كان من القوات البرية نفسها. إقالة موشيه يعلون وتعيين دان حلوتس بدلا منه كما فعل شارون، كانت نابعة من هوس شارون بفك الارتباط عن غزة.

هناك سؤال واحد لا يوجد له جواب بعد، ومن المعتقد ايضا أن لجنة التحقيق القانونية لن تتمكن من الاجابة عليه: كيف نجح طاقم من رجال المبيعات والعلاقات العامة المُريبين بيع اسرائيليين كثيرين وهم الاعتقاد بأن الانسحابات أحادية الجانب هي الحل لمشاكل اسرائيل، وأن الحزب الذي وُلد بالأمس فقط، الذي يكرس نفسه لتطبيق هذه النظرية البدائية، هو الذي يتوجب أن يقود اسرائيل في السنوات القادمة، وسياسيا مثل اهود اولمرت، الذي قال قبل سنة فقط «لقد تعبنا من القتال، وتعبنا من التغلب على أعدائنا»، هو الشخص الصحيح والملائم لقيادة الأمة الآن؟ هذه مسألة متروكة للمؤرخين والأخصائيين الاجتماعيين.

موشيه آرنس
وزير دفاع سابق
(هآرتس) 2006/8/22

لن تكون مصدرا لاستخلاص العِبر

لجنة التحقيق ليست مهمة لأنها لن تكشف الحقيقة وستكون أداة للتغطية والتلفيق ولا تصلح إلا للتاريخ

■ هناك تسعة أسباب تحول دون اقامة الدولة للجنة تحقيق رسمية للحرب في لبنان:

1 ـ لأنه يتوجب اجتثاث المعيار الذي تجذر عندنا ومفاده أنه بعد كل فشل في معركة، تتشكل ضد المشاركين فيها لجنة تحقيق قانونية. هذا معيار يُجبر القادة في الدولة والجنرالات على أخذ لجنة التحقيق التالية للحرب بعين الاعتبار بدلا من التركيز على المهمة المنوطة بهم.

2 ـ لأن مداولات لجنة التحقيق تمتد لسنوات. خلال هذا الزمن الثمين تتركز أفكار وطاقات قادة الدولة على مداولات اللجنة، وليس على الواجبات الوطنية. دولتنا لا تستطيع أن تسمح لنفسها بهذا الامتياز الفاخر. ليست هناك في حزب الله لجان تحقيق، وهم لا ينتظرون نتائجها ايضا.

3 ـ لأنه بطبيعة الحال، تُركز لجان التحقيق في نهاية المطاف على الاستخلاصات الشخصية. معاقبة القادة الذين كرسوا حياتهم للدولة هي آخر أمر نحتاجه.

4 ـ لأن معيار لجنة التحقيق يُخيف اشخاصا جيدين ويردعهم عن الانضمام الى صفوف الجيش والقيادة. الهجمة القانونية (والاعلامية) على قادة الجيش هي تجسيد للتدمير الذاتي الذي شاهدناه في هذه الحرب ايضا.

5 ـ لأن تقارير لجان التحقيق في نهاية المطاف لا تُطبق فعليا، ولا تشكل أداة لاستخلاص العبر. هي جيدة ربما للتاريخ، ولكن ليس للتخطيط المستقبلي. ما الذي استفدناه كدولة مثلا من تقارير لجان التحقيق السابقة؟.

6 ـ لأن توصيات لجان التحقيق تغص بدرجة كبيرة بادعاءات المحامين وتكتيكاتهم. أُخرجوا وفكروا: هل نصح المحامي قائد فرقة، الذي هو زبون عنده، بالتطوع للادلاء بشهادة كاملة حول الاخفاقات التي حدثت في فرقته؟ وهل سينصح محام موكله بتحمل المسؤولية على عاتقه أم أنه سيوصيه بالقائها على غيره؟ التحقيقات التي تجري ب